

الرسالة

قال " الشافعي : " : إنَّ الخلقَ لِمَا سَدَقَ في علمه مما أراد بخلقهم وبهم لا مُعَقِّبَ لحُكْمِهِ وهو سريع الحِساب .

وأنزل عليهم الكتابَ تَبَيَانًا لكل شيءٍ وهُدًى ورحمةً وفرض فيه فرائض أثبتها وأُخْرَى نَسَخَهَا رحمةً لِخَلْقِهِ بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم زيادة فيما ابتدأهم به مِن نِعَمِهِ . وأثابهم على الانتهاء إلى ما أثبت عليهم : جَنَدَتَهُ والنجاة من عذابه فَعَمَّتَهُم رحمتُهُ فيما أثبت ونسخ فله الحمد على نعمه .

وأبان أنَّ لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب وأن السنة لا ناسخة للكتاب وإنما هي تَبَدُّعٌ للكتاب يُمَثَّلُ ما نَزَلَ نَصًّا ومفسِّرةٌ معنى ما أنزل الله منه جُمْلًا . قال الله : " وَإِذَا تُلِيَتْ آيَاتُنَا بآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ السَّادِقِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدِّلْنَاهُ . قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ لَهُ مِنْ تِلْكَ آيَاتٍ إِنْ أَرَادْتُ بِإِبْعَادِ آلِ مَا يُؤَدَّى إِلَيَّ . إِنَّ زَيْدَ أَخَافُ إِنَّ عَصِيَّتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) " [يونس] .

فأخبر الله أنه فرضَ على نبيه اتباعَ ما يوحى إليه ولم يجعل له تبديله من تِلْكَ آيَاتٍ نفسه .

وفي قوله : " مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ لَهُ مِنْ تِلْكَ آيَاتٍ نَفْسِي (15) " [يونس] بيانٌ ما وصفتُ من أنه لا يَنسَخُ كتابَ الله إلا كتابُهُ كما كان المُبْتَدِئُ لفرضه فهو المُزِيلُ المُنْتَبِهُ لِمَا شاء منه جل ثناؤه ولا يكون ذلك لأحد من خلقه . وكذلك قال : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) " [الرعد] .

وقد قال بعضُ أهل العلم : في هذه الآية - والله أعلم - دلالة على أن الله جعل لرسوله أن يقولَ من تِلْكَ آيَاتٍ نفسه بتوقيفه فيما لم يُنزلْ فيه كتابًا والله أعلم . وقيل في قوله : " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . . (39) " [الرعد] : يمحو فَرَضَ ما يشاء ويثبت فرض ما يشاء وهذا يُشبه ما قيل والله أعلم .

[ص 108] وفي كتاب الله دلالة عليه قال الله : " مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهُ أَوْ مِثْلَهَا . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) " [البقرة] .

فأخبرنا أن نسج القرآن وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقرآن مثله .
وقال : " وَإِذَا بَدَأْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّامُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
: قَالُوا : إِنْزَمًا أَمْزَجَ الْمُفْتَرِ (101) " [النحل] .

وهكذا سنة رسول الله لا يندسخها إلا سنة رسول الله ولو أحدث الله لرسوله في أمر سن
فيه غير ما سن رسول الله : لسن في ما أحدث الله إليه حتى يبيد من الناس أن له سنة
ناسخة لآتي قديلاً مما يخالفها . وهذا مذكور في سنته - A